نحو أخلاق السلف

الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

طبعة مزيدة ومنقحة

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

نحو أخلاق السلف

الصبر الجميل

في ضوء الكتاب والسنة

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال، وذلك ان جميع ما يلقى في الدنيا لا يخلو عن نوعين:

النوع الأول: النعم التي أسبغها الله على عبده ظاهرا وباطنا؛ فهومحتاج إلى الصبرعليها؛ فلايركن إليها، ولاينهمك فيها، ويراعي الحقوق؛ فيعطي كل ذي حق حقه.

النوع الثاني: المصائب التي تحيق بالعبد؛ فتأخد الأحبه، وتهلك الأموال؛ فهو محتاج إلى الصبر فيها؛ فلا يجزع.

وهكذا يكون الصبر ضرورة بشرية، وفريضة شرعية، تلازم الإنسان في جميع أحواله وتقلباته. ولذلك لابد من بيان هذا المقام الأعلى، والمقصد الأسنى في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فكانت هذه الرسالة الموسومة بالصبر الجميل في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة».

وأرجو الله أن يتقبلها بقبول حسن، ويجعلها للصابرين إماماً تهدي بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

ليلة السبت غرة ربيع لآخر سنة ألف وأربعمائة وثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة.

1 ما هو الصبر؟

هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دوماً، ورعايتها إخلاصاً، وتحسينها علماً.
هو كف النفس عن المعاصي، وثباتها في مقابلة الشهوات ومقاومة الهوى.
هو الرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه، ولا معه.

2 ما هو حكم الصبر؟

إعلم أخا الإسلام - أيدك الله بروح منه - أن الصبر واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو كذلك بالضرورة العقلية.
ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في بضع وتسعين موطنا بأنواع عديدة تدل على وجوبه منها:
١-٢- الأمر به؛ كما في قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)٠آل عمران
٢-٢- النهي عن ضده؛ كما في قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35). الأحقاف
٣-٢- الأمر بالاستعانة به؛ كما في قوله سبحانه وتعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153). البقرة
٤-٢- الثناء على اهله؛ كقوله تبارك وتعالى: (...وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُتَّقُونَ (177). البقرة
٢-٥- إيجابه محبته لهم؛ كقوله جل ثناؤه: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146). آل عمران
٢-٦-إيجابه معيته لهم؛ كقوله: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46). الأنفال
٢-٧- إخباره بأن الصبر خير لأصحابه؛ كقوله: " وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)". النساء
٢-٨-إيجاب الجزاء للصابرين بأحسن أعمالهم؛ كقوله سبحانه وتعالى: " وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96)". النحل
٢-٩- إيجابه سبحانه وتعالى الجزاء للصابرين بغير حساب: " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) "٠الزمر
٢-١٠- إطلاق البشرى لأهل الصبر: " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) ". البقرة
وأما السنة الصحيحة فهي طافحة بالأحاديث الدالة على وجوبه، منها :
قال صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له (1)
واما الإجماع؛ فقد قال ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (١٥٢/٢): «وهو واجب بإجماع الأمة» :
والواجب على العاقل: أن يوقن أن الأشياء كلها قد فرغ منها؛ فمنها ما هو كائن لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه، فإن دفع إلى حال شدة وجب عليه أن يتزر بإزار له طرفان: أحدهما: الصبر. والاخر: الرضى. ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك، فكم من شدة صعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره ثم فرج عنه في أقل من لمح البصر.

وليعلم العبد الطائع أن وجوب الصبر على الجملة لا على التفصيل، وذلك كما هو مبين في مظانه.

ر١) اخرج مسلم (١٢٥/١٨-نووي) من حديث صهيب رضي الله عنه.

٣ الصبر ضرورة دنيوية وفريضة شرعية

الصبرضرورة لازمة للإنسان؛ ليبلغ آماله، وتنجح مقاصده؛ فمن صبر ظفر.
فلولا الصبرلما حصد الزارع بذره، ولم جنى الغارس ثمره، وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر : استمرؤوا المر، واستعذبوا العذاب، ومشوا على الاشواك، ولم يبالوا بالعوائق، ولله در ابا يعلى الموصلي القائل:
إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمريحاوله واستصحب الصبرإلا فاز
قد يعثرون لكنهم سرعان ما ينهضون، وقد يفشلون مرات ومرات لكنهم لا ييأسون.
لاتيأسن وإن طالت مطالبة إذ استعنت بصبران ترى فرجا
أخلق بذي الصبرأن يحظى بجاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
هكذا أمر الدنيا فكيف من أراد الفلاح في الآخرة؟
لا شك أن حاجته للصبر أوكد، وضرورته إليه أشد وألزم، وبخاصة وقد حمل الأمانة التي تنوء بحملها السماوات والأرض والجبال.
وأهل الأيمان أشد تعرضا للاذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم؛ لأنهم ينشدون الجنة، وهي سلعة الله
الغالية، فلا بد لها من ثمن... ولا مفر من الثمن؛ كما قال تعالى:

" إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) " التوبة

وقد دفعه اهل الحق على مر العصور؛ فلا بد أن يدفعه إخوانهم من بعدهم؛ كما قال جل جلاله: " الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) " العنكبوت

وقال أيضاً: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) " البقرة

قال صلى الله عليه وسلم: «اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة))

---

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي(٢/٣٢٠)، وابن حبان (٦٩٨و٦٩٩)، والحاكم (١/ ٤٠ و٤١)، وأحمد (١/١٧٢،١٧٤،١٨٠،١٨٥) وغيرهم. . من لرين عن سعد بن أبي وقاص به مرفوعاً.

قلت: وهو صحيح.

وله شاهد آخر: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، والحاكم (٤/٣٠٧)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا.

والابتلاء خير لأهل الإيمان في الجملة لأمور عدة:

أ- يطهر الصف المسلم من الأدعياء الذين لبسوا لبوس المؤمنين، وقالوا: نحن معكم، فإذا أصابت احدهم فتنة او محنة في سبيل دينه خارت قواه، ووهنت عراه، وفيهم يقول الله:" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (10) " العنكبوت

فالابتلاء يفرزهذه الأصناف من بين المؤمنين، وينفي الخبث من صفوفهم؛ كما ينفي الكير خبث الحديد.

قال تعالى: " مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) " آل عمران

ب- تربية المؤمنين، فالابتلاء ينضجهم، ويقوي عودهم؛ وصقل معدنهم

قال تعالى: " وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) " آل عمران

وقوله سبحانه: " وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) " آل عمران

ت- يرفع المؤمنين درجات، ويضاعف لهم في الحسنات، ويكفر عنهم الخطايا والسيئات، فيخرجون من الابتلاء كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وذلك لأن الذنوب لازمة للبشر؛ فمن رحمة الله بعباده المؤمنين ان يتعهدهم بالابتلاء الفينة بعد الفينة؛ لتتحات خطاياهم بالصبر.

قال صلى الله عليه وسلم: «فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»(3).

ومن هنا أمر الله المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة على ثغور النفس؛ لئلا يتسرب إليها اليأس والجزع والسخط والوهن ولن يغني عنهم ذلك شيئا.

وإذا كان الصبر ضرورة لأهل الإيمان فهو أكثر للرسل والنبيين؛ فهم أئمة أهل الإيمان؛ فهم أشد الناس ابتلاء.

---

(٣)مضى تخريجه برقم(٢).

وقد كان اولو العزم من الرسل اشد المرسلين ابتلاء؛ فكان صبرهم محل القدوة والأسوة.
قال تعالى: وفاصبركما صبرأولوالعزم من الرسل» [الأحقاف: ٣٥],
وأشد هذه النخبة المصطفاة من المرسلين ابتلاء هو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد»(4).
فلا غرو ان نجد ايات كثيرة تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر والاصطبار منها:
قول اله تعالى " وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)" يونس
وقوله: " وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115) " هود
وقوله: " فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) " طه
وقوله: " وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) " الطور
وقوله: " وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) " المدثر
فيا أخوي في الله هكذا كان سيد الصابرين حتى أتاه اليقين، فلكم به أسوة حسنة، و قدوة صالحة.

---

(٤) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٤٧٢)،وابن ماجه (١٥١) وأحمد (٣/ ٢٨٦،١٢)، وابن حبان (٢٥٢٨)، والبغوي في شرح السنة (٢٧/١٤). من طريق حماد بن سلمه عن ثابت عن أنس به مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

4 منزلة الصبر

المتتبع للمواطن التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيها الصبر في كتابه الكريم وللمواضع التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم يتبين بجلاء أن الصبر ذو مقام كريم، وخلق عظيم. ويدلك على ذلك أمور هاكها:

٤-١ - اقتران الصبر بالقيم العليا في الإسلام :

أ- قرنه الله باليقين قال تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) " السجدة

لا يخفى على الربانيين ان شياطين الإنس والجن يقتحمون النفس البشريه بسلاحين.

أحدهما: الشهوات؛ لإفساد سلوكه؛ فيغوى.

قال تعالى: " وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) " النساء

الآخر الشبهات؛ لإفساد فكره؛ فيضل .

والمؤمن الذي يرابط على ثغور نفسه يجاهد هؤلاء الأعداء بسلاحين أمضى وأقوى:

أحدهما: الصبر؛ فيجتث الشهوات والأهواء.

والاخر: اليقين؛ فيحطم الشبهات والأوهام.

فمن اجتاز هذه القنطرة كان إماما للمتقين .. وهل تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين، وسيأتي مزيد بيان وحسن تفصيل - إن شاء الله.

ب - وربطه الله سبحانه وتعالى بالشكر أربع مرات في أربع سور.

قال تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5) " إبراهيم

وقال تبارك اسمه: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آَيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) " لقمان
وقال جل ثناؤه: " فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) " سبأ
وقال سبحانه وتعالى: " إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) " الشورى
وكذلك جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الشكر والصبر فقال : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له»(5).
ت - وجعله الله سبحانه وتعالى مع التوكل في قوله: " الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) " النحل
وقال: " وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) " العنكبوت
فمن جمع الصبر والتوكل فقد حقق مراده، وبلغ غايته؛ لأن النجاح يتوقف على أمرين:
أحدهما: من جانب المرء، وفي مقدوره، من جهود تبذل، وصعاب تذلل، وهذه الأمور بحاجة إلى صبر ومصابرة.
والآخر: ما لا يملكه مما يحجبه الغيب، وتخبئه الأقدار، وهذا لا يملك المؤمن إزائها إلا التوكل على ألله، والالتجاء الى ركنه الشديد .
ث- وقرنه رب العالمين يالصلاة في قوله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) " البقرة
ج- وقرنه بالتسبيح والاستغفار في قوله تعالى: " وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) "

وقال: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55) " غافر

---

(٥)مضتخريجه برقم(١).

ح- وجمعه مع الجهاد في قوله تعالى: " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) " النحل

والجهاد ذروة سنام الجهاد، وكذلك الصبر ذروة سنام الأخلاق؛ لأنه يضمها، ومن اكمامه تخرج مكارم الأخلاق؛ كما سيأتي إن شاء الله.

خ- وربطه بالتقوى قوله تعالى: " وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) " آل عمران

د — وبالحق في قوله تعالى: " إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) " العصر

وتعظيما لنزلة الصبر؛ فقد كرر لفظة التواصي به، ولم يكتف بعطفه على الحق دون إعادة صيغه التفاعل تأييدا على مكانته، وتنبيها على أهميته المستقلة بذاته، واستحقاقه؛ لأن يتواصى به أصلاً لا تبعا'.

د - وقرنه بالرحمة في فوله تعالى: " ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) " البلد

الصبر هو الثبات على فعل الخير، والرحمة هي المحرك لفعل الخير، ومن هنا كان الربط بينهما والإشارة إليهما.

والمتتبع لكلمة وتواصوا» يجدها قد ذكرت أربع مرات في القرآن الكريم: اثنتين في سورة العصر، ومثلها في سورة البلد، وكان للصبر الحظ الوافر، حيث ذكر مرتين، وهذا يفيد أمور:

الأول: علو منزلة الصبر، وأهميته في دين الله وحياة المؤمنين.

الثاني: مشقته على النفوس، وأن اسمه كطعمه، فلذلك يحتاج إلى التوصية، والتذكير بين المؤمنين.

الثالث: إن الصبر هو العامل المشترك بين قيم الإسلام واخلاقه؛ فهو الذي يجمع شملها، ويلم شتاتها؛ فتبعث موات القلوب، ومن أجل هذا المعنى قرن بها في اكثر المواطن، وقد اشرنا إلى بعضها، والله أعلم.

٢-٤- اشتمال الصبر على أخلاق الإسلام: اعلم أيها العبد الصابر ابتغاء مرضاة الله، أن الصبر يدخل فيه أخلاق الإيمان، وإن اختلفت الأسماء باختلاف المتعلقات، ودونك البيان.

العفة صبر عن شهوات البطن والفرج. الشجاعة صبر في ساحات الوعى

الحلم صبر على دواعي الانتقام عند ثورة الغضب.

سعه الصدرصبرعند الضجر. القناعة صبر على الكفاف واليسير.

االكتمان صبر على إخفاء أمر. ضبط النفس صبر على دواعي طغيان شهوات النفس٠ والزهد صبر عن فضول العيش. فها أنت ترى أن شجرة الأخلاق الإسلامية ساقها الصبر، ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: «السماحة والصبر»(6)

وبذلك فإن المسلم لا يسعه أن يستغني عن الصبر في كل حال من أحواله.

---

(٦) حسن - أخرج لحاكم (٦٢٦/٣)، وأبو نعيم في(«الحلية)) (٣ ٣٥٧). من طريق بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده مرفوعا به. قلت. وهذا إسناد حسن - إن شاء الله؛ بكر بن خنيس اختلف فيه اختلافا كثيرا، لكن القلب يطمئن إلى ما قرره الحافظ في «التقريب» (١٠٥/١) حيث قال: « صدوق له أغلاط». وتابعه محمد بن ذكوان عن عبيد بن عمير بن عمرو بن عبسه. قلت: محمد بن دكوان ضعيف. وتابعه أيضا سويد أبو حاتم حدثني عبدالله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده. قلت: وسويد أبو حاتم ضعيف. أخرج هذه المتابعات ابن

نصر في «الصلاة» (ق٢/١٤٣). وله عنده شاهد مرسل صحيح من طريق ابن شهاب الزهري عن - عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عبيد بن عمير. وبذلك يثبت الحديث - إن شاء الله.

5 شروط الصبر

١- ٥٠ الإخلاص:

الصبر مشترك بي الناس جميعا، لكن الذي يفرق الصبر الشرعي عن غيره هو الدافع؛ فالصبر المحمود في القرآن والسنة هوما كان لله تعالى حيث يقول تبارك وتعالى «ولربك فاصبر» المدثر٧. وقال ايضا: " وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) " الرعد

لقد مدحهم الله؛ لأنهم صبروا ابتغاء وجه الله، وهذا هو الإخلاص المبرأ من شوائب الرياء، وحظوظ النفس

٥-٢ عدم شكوى الله: شكوى الله إلى العباد تنافي الصبر، وتخرجه إلى السخط والجزع.

قال صلى الله عليه وسلم: «فيما يرويه عن ربه: قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه، ثم يستأنف العمل»(7)

---

(٧) صحيح - اخرجه الحاكم (٣٤٩/١)، والبهيقي (٣٧٥/٣) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه. قلت: وإسناده صحيح رجاله ثقات.

ولله در الشاعر الحكيم:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكوالرحيم إلى الذي لا يرحم

٣-٥- أن يكون في أوانه:

الصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه أما إذا فات الأوان فلا جدوى منه؛ لأنه صبر في غير محله، وبعد انتهاء أمده وزمانه. وهذ ما حكاه الله عز وجل عن صبر أهل الغار: " وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21) " إبراهيم وقال جل جلاله: " اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16) " الطور عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمرأة عند قبر، وهي تبكي؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقي الله واصبري».

فقالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه.

قال: فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم .

قال: فأخذها مثل الموت.

قال: فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين.

فقالت: يا رسول الله لم أعرفك.

فقال صلى الله عليه وسلم «الصبر عند الصدمة الأولى»(٨).

والمراد ب «الصدمة الأولى»: مفاجأة المصيبة عند ذروتها حمولتها؛ لأنه إذا طالت الأيام وقع السلو طبعا، وحينئذ لا فائدة من الصبر؛ لأنه جاء بعد فوات الأوان.

---

(٨) أخرجه البخاري (٣/١٤٨-الفتح)، ومسلم (٦/٢٧٧-٢٢٨- نووي).

٦- مجالات الصبر

١ -٦- الصبر على بلايا الدنيا:

لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال.

وهذا ما لا يخلو منه بر ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلس قياده لقلب القلوب والأبصار؛ لأنه يعلم علم اليقين ان ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما اخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) " البقرة

فالبلاء هنا عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات.

ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: بشيء من الآية ؛ ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، وتخفيفا عليهم، ورحمة بهم.

وفي هذا المجال كان صبر أنبياء الله مثلا يقتدى؛ فأيوب عليه السلام صبر على مرضه وفقد أهله، ويعقوب صبر على فراق ولده، وكيد أبناءه، ويوسف صبر على السجن والافتراء والدس والتشويه الذي مارسته امرأة العزيز فبل أن يحصحص الحق.

٢-٦- الصبر عن شهوات النفس:

إذا أخدت الدنيا زينتها وأقبلت على الإنسان تتراقص كالحسناء اللعوب، وسرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال، فهذا لون جديد من الابتلاء إنه فتنة السراء؛ لأن الله يبلو عباده بالشر والخير.

قال تعالى: " وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35) " الأنبياء

انظر رحمك الله لقد جعل ذو الجلال والإكرام التنعيم والإكرام ابتلاء كالتضييق في الرزق سواء.

ولذلك فالعبد الصالح محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا وشهوات النفس؛ فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

وثمة أمر آخر للصبر في هذا الجال إنه الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين.

قال تعالى: " وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) " طه

ولا تظن ايها العبد القانع بما آتاه الله أن ما في أيدي الطغاة العتاة المغرورين نعم.. إنها نقم ولكن اكثرالناس لايعلمون الم تقرأ قوله تعالى: " أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ (56) " المؤمنون . وهذا هو المثال لا يزال شاخصا للذين يعتبرون في كل القرون.

لقد خرج قارون الذي ملك الكنوز ذات المفاتيح التي تنوء بالعصبة أولي القوة.. خرج على قومه في كامل زينته، وأبهى حلته، وفخامة موكبه ومركبه، فقال الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها في حسرة وتلهف: يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) القصص . ولكن الدنيا لن تخلو من ناصح أمين ورث العلم والإيمان والصبر من المرسلين: " وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) " القصص . وكان ما قدره الله فصل الخطاب: " فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) " القصص

٣-٦-الصبر على طاعة الله:

الطريق إلى الله مليئة بالعوائق؛ لان النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبوديه لله قيد لشهوات النفس، ولذلك فالنفس لا

تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار.

قال تعالى: " رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) " مريم

وقال جل ثناؤه: " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) " طه

والصبر على طاعه الله يتكون من ثلاث شعب:

الاولى: صبر قبل الطاعة، بتصحيح النية والإخلاص والتبرؤ من شوائب الرياء.

قال تعالى: " إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) " طه . لقد قدم الله سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على حال الطاعة حيث لا يغفل عنه أثناء تأديتها، ولا يتكاسل؛ فيأتي بها على أكمل وجه مشروع متبعاً ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم حذو القذة بالقذة. قال تعالى: " وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) " العنكبوت

الثالثة: الصبر بعد العمل؛ فلا ينظر لنفسه بعين العجب؛ فيتظاهر بما قدم سمعة ورياء؛ لئلا يحبط عمله، ويبطل أجره، ويمحو أثره .

٤-٦- الصبر في الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله سبيلها طويل، تحف به المتاعب والآلام، وذلك لأن الدعاة يطلبون من الناس أن يطلقوا أهواءهم، وينحرروا أوهامهم، ويثوروا على شهواتهم، ويقفوا عند حدود الله أمر و نهيا.

وأكثر الناس لا يؤمنون بهذا النمط الجديد؛ فيتخذون من هذه الدعوة عدوا يحاربونه بكل سلاح.

وأمام هذه القوة العاتية، والسلطة الطاغية لا يجد الدعاة مفرا من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لاينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.

وحينئذ لا بد أن يتنادى أهل الإيمان؛ ليتواصوا بالحق، ويتواصو بالصبر؛ لينجوا من الخسران المبين الذي يواجه الفارين من وجه الهدى. وفي ذلك أنزل الحق سورة كاملة هي سورة العصر: " وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) " العصر

ومن هذه العصابة المباركة العبد الصالح لقمان وابنه، وها هو لقمان يوصي ابنه: " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) " لقمان

ودونك أيها الداعي إلى الله على بصيرة بعض المعوقات التي تعترض طريقك؛ لئلا تأخذك على حين غرة:

أ- إعراض الناس عن دعوتك.

لا شيء أثقل على صاحب الحق وهو يصيح بأعلى صوته، وينادي بملء فيه، لينقذ الناس من الظلمات إلى النور، فلا يجد إلاآذانا صما، وقلوبا غلفا. . . أناسا قد استغشوا ثيابهم، وأصروا وا ستكبروا استكبارا.

فها هو نبي الله نوح عليه السلام يناجي ربه؛ " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) " نوح

ولكن التحديات تزيد عود داعي الله صلابة، وهمته شموخا، فلا يفتأ قائما على أمر الله، ظاهرا على الحق، لا يضره من خالفه، ولا من خذله حتى يجعل الله له سبيلا" ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) " نوح

هذا هو شأن فوم أول المرسلين نوح عليه السلام وهو موقف قوم خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم لم يتغيرولم

يتبدل، وهذه سبيل المجرمين في كل القرون " أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53) " [الذاريات:٥٣].

ويصف الله تبارك وتعالى موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم: " حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) " فصلت

ولهذا قال الله تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم: " وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128) " النحل

ب- الأذى من الناس قولا وفعلا

أعداء الحق يقابلون الإحسان بالإساءة، فالداعي إلى الله يمحض لهم النصح؛ فيتهموه بما ليس فيه، ويدعهم إلى الله بالموعظة الحسنة؛ فيردوه بالسوء، ويجادلهم بالتي هي أحسن؛ فيقاوموه بالتي هي أخشن، ويصدع بينهم بالحق؛ فلا يسمع منهم إلا الباطل.

وفوق هذا كله تمتد يد الباطل إلى الأموال؛ فتنصبها، وإلى الأبدان؛ فيعذبها، والحرمات؛ فينتهكها، والأنفس فيقتلها.

وهذا ما أشار إليه رب العزة مخاطبا المؤمنين؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر والثبات: " لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) " آل عمران

وفي الاية نكت لطيفة ينبغي لفت نظر الدعاة إليها

الأولى: وصف الله سبحانه وتعالى الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة، وهذ يدل على ان حرب كلامية وإعلامية ستشن على أهل الإيمان.

أسلحتها التشويه والتشويش والدس والافتراء والتحريف.

شعارها: الغاية تسوغ الوسيلة، والكذب واكذب حتى يصدقك الناس
فلا بد من احتمال مكارهها، والصبر على تجرع غصصها حتى يأتي أمر؛ فيحق الحق، ويبطل الباطل، إن الباطل كان زهوقا.
الثانيه: قرن الله الصبر بالتقوى فلا بد أن يجمع المؤمنون التقوى والصبر لمواجهه هذه الحرب الضروس.
الصبر للثبات في وجه الباطل.
والتقوى للتعفف عن مقالة الخصوم بأسلحتهم الخبيثة؛ فالمؤمن لا يواجه الدس بالدس، ولا الافتراء بمثله؛ لأن المؤمنين يحكمهم فول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) " .
الثالثة: قرن الله بين أهل الكتاب والمشركين على اختلاف مشاربهم ووجهاتهم.
وفي هذا لفتة رائعة إلى أن عداوتهم للإسلام وأهله وحدت بينهم على اختلاف.
هذا ما قرره القرآن الكريم قبل مئات السنين وايده التاريخ والواقع.
لقد وجدنا اليهوديه العالمية، والصليبية النصرانيه، والشيوعيه الدولية تختلف بينها أشد الاختلاف، ثم تتناسى هذا كله عندما يكون الإسلام هو العدو.
قال تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " الأنفال 73
وقال جل ثناؤه" وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " الجاثية 19
....نعم أيها المسلمون: إن الكفر ملة واحدة.
إن عجبي لا ينقضي من أمة يقرر دينها هذه الحقيقة، ولكنها تتكالب على خطب ود أعدائها من يهود ونصارى وشيوعيين، ويرتمي ولاة أمرها في احضانهم... فصبر جميل، والله المستعان عليمايفعلون.

وأنبياء الله جميعا يمثلون هذا النوع من الصبر حيث قالوا رداً على اذى أقوامهم: " وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) " إبراهيم

وكان عزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل جميعاً من قبله حدث لهم الأذى والتشويه والافتراء: " وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) " الأنعام .

ومن هنا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصبر على إيذاء قومه: " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) " المزمل ولقد ضرب سحرة فرعون حين وقع الحق فآمنوا مثلا رائعاً في الصبر، فلم يفت من عضدهم، ولم يزعزع يقينهم تهديد فرعون:" قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) " الأعراف ماهذا الوعيد الهادرمن طاغيه جبار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إله غيري. إن أمواجه تتحطم على يقين المؤمنين الذين وقفوا كالجبال الشم، ولكنهم توجهوا إلى الله؛ ليثبتهم، ويلقي في قلوبهم السكينة، ويفرغ عليهم الصبر: " قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) " الأعراف

ت- استبطاء النصر والفرج.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى العاقبة للمتقين، وكتب لهم التمكين في الأرض ليكون الدين كله لله، ولكن هذه المنزلة لن يبلغها المؤمنون بين عشية وضحاها، ولن تتحقق بالأماني والأحلام، ولن تشرق شمسها إلا بعد ليل طويل حالك من الفتن والشدائد والمحن، تزيغ لهولها الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر، ويظن الناس بالله الظنون، هنالك يبتلي المؤمنون ويزلزلون

زلزالا شديدا، ولا يثبت إلا المخلصون، حينئذ يكون نصر الله اقرب للمرء من نفسه التي بين جنبيه.

قال تعالى: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) " البقرة

متى نصر الله؟ استبطاء له، واستعجالا لمجيئه؛ هنالك يجيء الغوث للملهوف، والفرج للمكروب؛ فتفرح القلوب ألا إن نصر الله قريب.

وليعلم المسلم المتعلق بجبال الفرج أن في التأخير لطائف أسرار منها:

ا- ان الكرب كلما اشتد كان الفرج قريبا؛ كما في قوله تعالى : " حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) " يوسف

ب- ان الكرب كلما اشتد وجد اليأس من كشفه من جهه المخلوق، وازداد التعلق بالخالق حتى يصل العبد إلى محض التوكل للذي هو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج؛ كما قال تعالى: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) " الطلاق

ت- إن الكرب كلما اشتد؛ فإن العبد حيئئذ يحتاج إلى زيادة مجاهدة الشيطان؛ لانه يأتيه؛ فيقنطه، ويسخطه، فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه، فيحوز ثواب مجاهدة عدوه ودفعه.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي؛ فيدع الدعاء»(٩).

ث- إن المؤمن كلما استبطأ الفرج واستياس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وإلحاح التضرع ولم تظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه يلومها يقول: إنما اين من قبلك.

(٩) أخرجه البخاري 11/140 فتح)، ومسلم ٠٩٣/٤)

وهذ اللوم أحب إلى الله من أكثر الطاعات؛ لانه يورث العبد الصالح انكسارا لربه؛ فلذلك يسرع إليه الفرج، ويتواثب إليه اليسر؛ لان الله عند المنكسرة قلوبهم لأجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر.

قال تعالى: " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) " النمل

٥-٦- الصبر حين البأس:

إذا لاقى المسلمون أعدائهم زحفا؛ فإن الفرار حينئذ كبيرة موبقة، حيث يصبح الصبر والثبات فريضة لازمة، فالصبر هنا شرط أساسي للنصر، وعنصر ضروري لقهر العدو.

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) " الأنفال

قال صلى الله عليه وسلم: «النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا)) .

ر.١) صحيح لغيرة. — اخرجه أحمد (٢٧/١) والحاكم (٥٤٢/٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠/١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣٩٨٣٩٧/٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٤٥)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٣٤) وابو نعيم في«الحلية» (٣١٤/١) وغيرهم من طرق عن ابن عباس رضي لله عنهما. قلت؛ مفرداتها لا تخلو من مقال كن مجموعه يصبع لحديث حسنا، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، والله أعلم.

ومن هنا اثنى الله على الصابرين تحت ظلال السيوف فقال:" وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177) " البقرة

وأعظم ما تشتد به الحاجة إلى الصبر في الحرب عندما ينفرط عقد الصف، وتدب روح الهزيمة في المقاتلين، وتنتشر

الشائعات المثبطة للهمم المحطمة للعزائم.
وخير من يمثل هذا المجال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعندما كان يشتد الوطيس يتخذه المسلمون جنه؛ كماحدث في غزوه أحد وحنين.
ولقد كان النبيون من قبل صابرين في ساحات الوغى." مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) " آل عمران
وها هو طالوت والقلة المؤمنة من جنوده يلقي على المؤمنين درساً عمليا حيث عقد لجنوده امتحاناً يختبر صبرهم: " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) " البقرة
هكذا يجب على القائد الحريص على دعوته وجنده ان يختبر قدرتهم قبل ان يقذف بهم في المعارك، حيث تتجلى الحقيقة الهامة وهي: إن الذي لا يصبر على الأمر اليسير لا يمكن أن يثبت عند التقاء الجمعين، فلا بد من التربية قبل الجهاد.
إن الذين نجحوا في الامتحان قلة تبين صبرها عند الشدة؛ فاجتازت النهر مع طالوت: " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) " البقرة .

يا لروعة التعبير القرآني المعجز.. إنهم لم يسألوا الله قدرا معينا من الصبر بل طلبوا ان يفرغ عليهم إفراغا... إن نفوسهم لم تطعم ماء النهر، ولكنها تواقة لتشرب كأس الصبر حتى الثمالة.

وكانت النتيجة التي ستكرر على مر العصور: " فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ " [البقرة:٢٥١]

٦-٦ الصبر على الزوجة والأولاد

النساء و البنون محببة للنفس الإنسانية، بل هما زينة الحياه الدنيا؛ لذلك فهما فتنة؛ لقوله تعالى: " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) " [الانفال:٢٨]

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من جبلة النساء؛ لتستبين للرجال سبيل معاملتهن، والصبر على ضعفهن الذي يسبب خلافات في العلاقات الزوجية.

ولذلك لا تستقيم الحياة الزوجية إلا بأن يكون الزوجان واعيين يصبر كل منهما على صاحبه، ويتحمل منه بعض مالا يروقه بل بعض ما يؤذيه.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الرجال بالصبر؛ فإن أحس بالنفور في نفسه قبل زوجه؛ فليقدم العقل على العاطفة، وينقاد للأخلاق على اتباع الهوى والشهوة.

قال تعالى: " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) " النساء

٦-٧- الصبر على الأخوة في الله:

أشاد الله بنيان المجتمع الإسلامي على أسس قويه، وعرى وثيقة، ووشائج مترابطة تنتظم كيان الأمة الإسلامية؛ فتغدو جسدا واحداً٠

لكن الإنسان من طبيعته النقص، والنسيان والغفلة؛ لذلك قد يصدر منه أفعال تؤذي إخوانه.

فإن قابلوها بمثل فعله كانوا عونا للشيطان عليه؛ لذلك لابد أن يمحضوا له النصح، ويدرؤوا بالحسنة السيئه؛ ليعود المخطىء

إلى عرينه؛ فيأتلف الشمل، ويستأنف العمل.
وفي هذا يقول رب العزة تبارك وتعالى: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36) " فصلت
وبشر الله سبحانه وتعالى الذين استجابوا لهذا النداء الرباني بالفوز والفلاح والنجاح: " وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) " الرعد
وهذا النوع من الصبر يجب أن يكون مشفوعا بالرحمة والشفقة والرأفة على الأخ؛ لتزداد الألفة، ويتماسك البناء، وتشتد أركانه.
قال تعالى: " كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) " البلد
فطوبى لمن ألجم نفسه بلجام الحلم، وكبح جماحها عند فورة الغضب ودواعي الانفعال، وحرص على دفع التي هي أخشن بالتي هي أحسن؛ لأن هذا السلوك الجميل يهدي للتي هي أقوم، ويحيل العدو اللئيم إلى صديق حميم.
وهكذا فلتكن أيها الاخ في الله حريصا على كسب قلب محب؛ لأنك بذلك تنقص صف الأعداء واحدا.

٨-٦- الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث النبوة؛ فمن سلك سبيله؛ فقد أخذ بحظ وافر، فطالب العلم يجب أن يراعي آداب الطلب، ويصبر على لأواء الطريق، ويتجشم الصعاب ليبلغ ما أراد.
وفي فصه موسى عليه السلام مع العبد الصالح وهو الخضر، بيان لضرورة صبر طالب العلم، إن أراد أن يصل إلى بغيته، ويدرك غايته.
قال تعالى: " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ

تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) " الكهف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اخبر في حديث طويل بتفاصيل هذه الرحلة العلميه: «يرحم الله موسى لو كان صبر يقص علينا من أمرهما» (11). ودونك فقه القصة.

ا- طالب العلم يجب أن يكون متواضعا، فلا يدعي أنه أعلم أهل زمانه، ولا يزعم أن ما عنده من علم أوتيه من عند ئفسه -

ولذلك أراد الله أن يؤدب موسى - عليه السلام - وهو نبيه وكليمه الذي أجاب على سؤال: لا أعلم على الأرض أعلم مني.

لقد كان يجب أن يرد علم ذلك إلى الله؛ لانه لا علم للبشر إلا ما علمهم الله؛ وفوق كل ذي علم عليم.

فلعل هذا المقصد الرباني يرسخ في قلوب كثير من طلبه العلم الذين لم يروا إلا أنفسهم؛ فراحوا يقسمون رحمه الله بين عباده مخدوعين بما يرونه من كثرة العرض لبعض الناس، أو لأنفسهم متناسين أن العلم لا يقاس بالكم، ولكن بالكيف.

ب- طالب العلم يجب ان يصبر ويصابر فلا يستعجل؛ لأن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ت- طالب العلم يجب أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من شرط؛ فالمؤمنون عند شروطهم.

---

١) أخرجه البخاري (٦/٤٣١-٤٣٣-الفتح) وغيره.

ث- يجب أن يراعي الشيخ ضعف تلميذه؛ فلا يؤاخذه من أول عثرة بل عليه أن يذكره، ويتعهده بالإرشاد.
وفي هذه القصة القرآنية التي فصلتها السنه النبويه الصحيحة أمورعظيمة أدغمتها لا تخفى على طلبة العلم عند التأمل والتدبر.
ولقد صنف أهل العلم من هذه الأمة تصانيف طيبة تعالج آداب طلبة العلم وصفات المتعلم وأخلاقه منها: «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»، و« والفقيه والمتفقه»، و«الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع»، وغيرها كثير طيب.

7 فضائل الصبر

رتب الله تبارك وتعالى خيرات الدنيا والاخرة على الصبر، فكل خير ترتجيه وكل شر تهرب منه منوط بالصبر.

٧-١- معية الله مع الصابرين؛ لقوله جل شأنه:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) " البقرة

وقال: " وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) " الأنفال

وقد ذكرت هذه المعية في عدة مواطن من كتاب الله.

٧-٢- محبة الله للصابرين؛ لقوله تعالى:" وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) " آل عمران

٧-٣- صلوات من الله ورحمة على الصابرين؛ لقوله تعالى:" الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) " البقرة

ففي هذه الآية الكريمة جمع الله للصابرين الصلوات من الله، والرحمة، وضمن لهم الاهتداء، وزف لهم البشرى.

٧-٤- ضمان النصر والمدد للصابرين؛ كما في قوله تعالى:" بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) " آل عمران

وقال صلى الله عليه وسلم «النصر مع الصبر»(12)

٧-٥- الوصول إلى منزله الإمامه في الدين :

قال العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني بن قيم الجوزية في كتابه الموسوم ب «مدارج السالكين» (١٥٤/٢): «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

لم تلا قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) " السجدة

٧-٦- الحفظ من كيد الأعداء:" إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) " آل عمران

٧-٧- الانتفاع بالصبر والاتعا؟ بآيات الله في الآفاق والأنفس، قال تعالى:" وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) " الشورى

---

(١٢)مضى تخريجه برقم(١٠).

٧-٨- استحقاق الصابرين دخول الجنه، وذلك الفوز العظيم. قال تعالى: " أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) " الفرقان

وقال تعالى: " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) " الرعد

هذه الفضائل يسير من كثير، فلا جرم أن يكون الصبر ضياء ونورا في الارض وذخرا في السماء.

ولله در القائل:

الصبرمثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

٨ أمور تعين على الصبر

لا يشك ذو مسكة عقل أن الصبر مر المذاق، صعب على النفس البشريه؛ لأنه يفطمها عن مألوفاتها ورغباتها، لذلك فلا بد من

تعويدها عليه شيئاً فشيئا حتى تستسيغه وتعض عليه بالنواجذ عند المصائب والفتن.
ودونك جملة من الأمور تعين على الصبر، وتهونه على النفس، وهي:

١ -٨- معرفة طبيعة الحياة الدنيا.

لعل أقرب أمر يعين الإنسان على الصبر ويجمل النفس عليه هو تصور الحياة التي يعيش فيها، ومعرفتها على حقيقتها وواقعها، فهي ليست جنة نعيم، ولا دار مقامة، وإنما ممر ابتلاء وتكليف، لذلك فالكيس الفطن لا يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب.
ولله در القائل:

إن لله عباداً فطن طلقوا   الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلماعلموا   أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذواصا لح الأعمال فيها سفنا

ورب العالمين يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بمخاطر مملوءة بالمتاعب في قوله: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)" البلد
فها هي الدنيا كما وصفت لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك وآخر عليك، قال تعالى: إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)
وقد أحسن ابو البقاء الرندي القائل:

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأيام كما شاهدتها دول   فمن سره زمن ساءته أزمان

وليعلم العبد الصالح أنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى: إما بفوات محبوب، او حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نائم، وظل زائل، وسحابة صيف؛ إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن سرت يوما أساءت دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلا.

٢-٨- اليقين يحسن الجزاء عند الله.

إذا علم العبد أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء عند الله حين يرجعون إليه، ويقفون بين يديه؛ فيعوضهم عن صبرهم خيرا، ويمنحهم أجرا، ويجزل لهم المثوبة، فإنه لا شك يتصبر ويرضى بما قدره الله، ولا يجد المتتبع لآيات القرآن الكريم شيئاً ضخم جزاؤه، وعظم أجره مثل الصبر .

فها هو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتفخيم:

" .... نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) " العنكبوت

ويبين أن جزاؤهم يكون بأحسن ما كانوا يعملون:

" .... وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96) " النحل

ويصرح أن اجر الصابرين غير معدود ورزقهم غير محدود :

" إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) " الزمر

٣-٨- معرفة الانسان نفسه.

الله - سبحانه وتعالى - هو الذي منح الإنسان الحياة، فخلقه من عدم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولا وآخرا، لذلك فإذا نزل بالعبد نازل سلبه شيئا مما عنده، فإنما استرد صاحب الملك بعض ما وهب، ولا ينبغي للمودع أن يسخط على صاحب العاريه إذا استردها.

وصدق لبيد بن ربيعه رضي الله عنه القائل

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

وفي قصة أم سليم مع زوجها أبي طلحة دليل واضح على فهم السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، لهذه الحقيق، حيث عرفوا أنفسهم؛ فعرفوا مقام ربهم، وقدروه حق قدره.

عن أنس رضي الله عنه قال:

مات ابن لأبي طلحة من ام سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى اكون أنا أحدثه.

قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت قد شبع وأصاب منها.
قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت؛ فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال : لا.
قالت: فاحتسب ابنك.
فقال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم اخبرتني بابني؛ فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأخبره بما كان.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».
قال: فحملت، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنو من المدينه فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال: يقول أبو طلحة إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى.
قال: تقول أم سليم: يا ابا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، انطلق؛ فانطلقنا.
قال: فضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاماً.
فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل ام سليم ولدت».
قلت: نعم فوضع الميسم، قال : وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة؛ فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في في الصبي يتلمظها.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى حب الأنصار التمر»، قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.
[قال سفيان: قال رجل من الانصار: فرأيت له تسعة اولاد كلهم قد قرأوا القرآن](13).
وهذه المعاني قبس من قوله تعالى:
" .... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) البقرة

---

(١٣) اخرجه البخاري(١٦٩/٣ و٥٨٧/٩- الفتح)، ومسلم (١١/١٦-١٣-نووي)، واللفظ له.
وما بين معكوفتين زيادة للبخاري في الموطن الأول.

هده الكلمه الطيبه تضمن اصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته ٠
إحداهما: إن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة.
الآخر: إن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق؛ ليوفيه حسابه.
فإذ كانت هذه بداية العبد ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأس على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم معين على التحلي بالصبر عند الشدائد، والمصائب، والمحن، والفتن، فاللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخره.

٤-٨- اليقين بالفرج .
لا يشك العافل ان نصر الله فريب، وفرجه آت لا ريب فيه، وإن بعد الضيق سعة، ومع العسر يسرا؛ لأن الله وعد بهذا، وإنه لا يخلف الميعاد.
وهذا اليمين جدير أن يبدد ظلمة القلق، ويقهر شبح اليأس، ويضيء نفس المؤمن بنور الصبر الذي لا يخبو

ولذلك ورد الصبر في كتاب الله مقرونا بأن وعد الله حق، كما في قوله تعالى: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)" الروم

وقوله جل شأنه: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ " غافر55

وقد وعد الله عباده الصابرين بقرب الفرج في صور شتى منها:

١ - الوعد بالسعة بعد الضيق، والرخاء بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وفي هذا يقول جل وعلا: " .... سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)" الطلاق

ولم يكتف الخالق سبحانه وتعالى أن جعل اليسر بعد اليسر بل جعله في موطن آخر معه وبصفة التأكيد حيث قال: " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) " الشرح

وفي هذه الآيات يتجلى أمران:

أ- تحقق اليسر بعد العسر تحققا قريبا حتى كأنه معه ومتصل به، حتى لو دخل العسر جحر ضب لتبعه اليسر، ولن يغلب عسر يسرين

ب- أن مع العسر يسرا بالفعل، ولكن قد يكون ملموسا أو مكنونا؛ ففي كل قدر لطف، وفي كل بلاء نعمة.

ولا يشك مؤمن عرف ربه وآمن به أن الله يقدر ويلطف:

" إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) " يوسف

لأنه أعلم بمن خلق وأرحم بهم من أنفسهم: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) " الملك

٢- الوعد بحسن العاقبة، والعبرة بالعواقب، والمدار على الخواتيم.

قال تعالى:" فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) "[هود:٤٩].

ولقد احسن القائل:

اشتدي أزمة تنفرجي قدآذن ليلك بالبلج

ولله در القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلمااستحكمتحلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تعرج

٣- الوعد بحسن العوض عما فات؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

قال تعالى: " وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) " النحل

٨-٥- الاستعانة بالله:

إذا استعان العبد بربه، ولجأ إلى حماه شعر بالطمأنينة في قلبه، والسكينة تملأ جوارحه؛ فمن كان في حمى الله فلن يضام.

قال تعالى: " .... اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا .... (128) " الأعراف .

ومن كانت معية الله معه، وعين الله ترعاه؛ فهو حقيق أن يتحمل المتاعب، ويصبر على الاذى.

٨-٦- التأسي بأهل الصبر والعزائم.

إن التأمل في سير الصابرين، وما لاقوه من ألوان الشدائد، وما ذاقوة من صنوف البلاء، يعين على الصبر، ويطفىء نار المصيبة ببرد الأسي.

ومن هنا حرص القرآن الكريم، والسنة النبوية على ذكر قصص الأنبياء، والصالحين، تسلية للنبي والمؤمنين، و تثبيتا لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن

قال تعالى: " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) " هود

ويجيء الخطاب الرباني لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ .... (35) " الأحقاف

فإذا ضاق صدره بما يفعلون، وأدركه الحزن عليهم مما يمكرون، وجد في صبر إخوانه من المرسلين ما يشد أزره، ويمضي عزمه، ويذهب همه، فهو ليس بدعا مما أصاب الرسل من قبله، يقول الله عز وجل: " وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا

كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) " الأنعام

٧-٨- الإيمان بقدر الله وقضائه:

على المسلم أن يعلم علم اليقين أن قدر الله نافذ لا محالة، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف.

قال تعالى: " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) " الحديد

إن الركون للصبر في مثل هذا المقام أمر محمود بل واجب؛ لأن المقادير نافذة سواء أرضي العبد أم سخط، صبر أم جزع، ولكن العاقل ينبغي ان يتحلى بالصبر حتى لا يحرم المثوبة، وإلا ستؤول به السنن الكونية إلى صبر الاضطرار الذي لا قيمة له في دين الله كما بينا في شروط الصبر لقول النبي: «الصبر عند الصدمة الآولي·(14)

وذلك لأن العبد إن صبر إيمانا واحتسابا نفذت فيه المقادير وله الأجر، وإن جزع وهلع وتبرم سلى سلو البهائم ونفذت فيه المقادير، وعليه الوزر.

إن التسليم بالقدر هو مقتضى العقل والدين معا، وإلا يفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والمبالغة في التوجع والتشكي

---

(١) مضى تخريجه برقم (٨).

ولن يغير من الواقع شيئا، ولن يبدل سنن الله في الكون، وإنما يزيد نفسه كمدا وغما وحسرة.

وانظر أيها العبد الصالح كيف يقرر الله هذه الحقيقة مخاطبا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حين آذاه موقف قريش وتكذيبها له: " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآَيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) " الأنعام

وقال الله عز وجل للقانطين من رحمه الله اليائسين من نصره:

" مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) " الحج

٨-٨ استصغار المصيبة:

قال صلى الله عليه وسلم : ((إذا أصاب أحدكم بمصيبة؛ فليذكر مصيبته بي؛ فإنها أعظم المصائب))(15).

وكتب بعض العقلاء إلى اخ له يعزيه عن ابن له يقال له: محمد؛ فنظم الحديث الآنف شعرا فقال:

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم أن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت محمد ومصابه   فاذكر مصابك بالنبي محمد

---

(١٥) اخرجه بن سعد في «الطبقات» (٣٧٥/٢)، والدارمي (٤٠/١) من طريق فطر ين خليفة عن عطاء ين ابي رباح مرفوعا:

قلت: إسناه صحيح، : لكنه مرسل وله شاهدعن ابن ماجه (١٥٩٩) من حديث عائشة رضي لله عنها. قلت: وإسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة.

وله شاهد آخر مرسل: أخرجه ابن سعد (٢٧٥/٢)، وابن المبارك في الزهد (٤٦٧)

قلت: هو صحيح مرسل.

ومرسل آخر عن عبدالرحمن بن سابط: أخرجه نعيم بن حاد في ((زوائد الزهد)) (٢٧١).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الشواهد، والله أعلم

عقبات في طريق الصبر 9

لا بد لمن أراد أن يعتصم بعروة الصبر الوثقى أن يحذر من الآفات التي تعتري النفس البشرية؛ فتعيق الصبر، وتعرض طريقه، وهي:

١-٩-الاستعجال:

الإنسان مولع بالعاجل؛ لأنه خلق من عجل؛ كما في قوله تعالى: " خلق الإنسان من عجل " [الأنبياء:٣٧].

فإذا بطأ الخير عن الإنسان نفد صبره، وضاق صدره ناسيا أن لكل أجل كتاباً مسمى، وأن الله لا يعجل بعجلة الخلق.

وليعلم العبد أن لكل ثمرة أوان لنضوجها؛ فيحسن عندئذ قطافها، والاستعجال لا ينضجه بل يهلكها، وقديماً قيل؛ من استعجل الشيء قبل اوانه؛ عوقب بحرمانه

ولهذا خاطب الله رسوله قائلاً: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ ....(35)" الأحقاف

والاستعجال من سنن المشركين لجهلهم وسفههم، فقد كانوا يستعجلون عذاب الله غروراً وعناداً، فرد الله عليهم بما يقطع دابرهم " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (53)" العنكبوت

٢-٩- الغضب:

قد يرى المسلم ما يكره، ويسمع ما يؤذيه؛ فيستفزه الغضب إلى الإعراض عن الناس والنفور منهم، ومن ثم إلى اليأس والقنوط وهما آفة الصبر.

فيجب على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة عسى أن يهدي الله به رجلا واحدا فيكون خيرا له مما طلعت عليه الشمس.

٣-٩-الضيق:

قال الله تعالى لرسوله الكريم: " وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلّا بِاللّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) " النحل
وقال جل شأنه: " فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) " هود
إن الإيمان والكفر والهدى والضلال لا يستطيع الإنسان أن يجلبها لمن أحب ويدفعها عنه، وإنما عليه التذكير والنصيحة والبيان والبلاغ.

٤-٩- اليأس.
اليأس آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفىء سراج الأمل؛ فيترك العبد العمل، ويخلد إلى الكسل.
ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة المطهرة على غرس بذور الأمل في نفوس المؤمنين.
وقال تعالى: " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) " آل عمران
وقال جل جلاله مخبرا عن موسى وقومه: " قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) " الأعراف
وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه خباب بن الأرت رضي الله عنه يشكو ما يلاقيه المؤمنون من أذى المشركين شكوى تحمل معنى الضيق والتبرم والاستعجال؛ فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال:
«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع الميشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله

هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه (وفي رواية: ولكنكم تستعجلون)))'' .
وما ذلك إلا لأن الأمل أعظم معوان على الصبر على طول الطريق وقلة الرفيق، وبخاصة في زمن الغربة الذي نعيشه؛ فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وافرغ علينا صبرا، وتوفنا مسلمين، والحقنا بالصالحين.

---

(١٦) أخرجه البخاري (٧/١٦٤-١٦٥- لفتح) وغيره.

الأنبياء صبروا 10

عني الكتاب والسنة بفضيلة الصبر، وحرصا على توجيه المؤمنين للتحلي به وممارسته خلقأ وسلوكا؛ فعرض أمثلة رائعة لتطبيق الصبر في مجالاته المتعددة، وأ
لوانه المتنوعه، منها:
١-١٠-أيوب عليه الصلاة والسلام.
لقد قرن اسم نبي الله أيوب عليه السلام بالصبر؛ فكلما ذكر أحدهما ذكر الآخر، وأصبح اسمه مضرب الأمثال؛ فقالوا: «صبر أيوب».
وكان صبره عليه الصلاة والسلام على ما أصابه من ضر في بدنه، وفقد أهله.
قال تعالى: " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) " الأنبياء
وقال عز وجل: " وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)" ص

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أيوب عليه السلام موضع الأسوة والاقتداء فيما اختص به من فضيلة بقوله تعالى: " واذكر " وشرف الله تعالى أيوب عليه السلام؛ فأضافه إليه إضافة تخصيص وتقريب بقوله: "عبدنا".

ورفع الله منزلته حين استجاب نداءه؛ فرد عليه عافيته وأهله ومثلهم معهم، وجعل له مخرجا من يمين حلفه تخليصا له من مأزق الحنث، وتكريما له على صبره الجميل، وشهد له شهادة حق: "إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب"

وقد قص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفا من صبره؛ فقال:

«إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان عليه ويروحان.

وقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين.

فقال له صاحبه: وما ذاك؟.

قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله؛ فيكشف ما به.

فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان؛ فيذكران الله؛ فأرجع إلى بيتي؛ فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في الحق.

قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحي إلى أيوب أن " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " فاستبطأته، فتلقته تنظر وقد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحا؟

فقال: فإني أنا هو.

وكان له أندران - أي بيدران أندر للقمح، وأندر للشعير؛ فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فبه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض(١٧).

---

(١٧) صحيح - أخرجه أبو يعلى في ((مسنده)) (٣٦١٧)، وأبو نعيم في «الحلية»، (٣٧٤/٣-٣٧٥)، والحاكم (٥٨/٢-٥٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٨٧) وغيرهم.
من طرق عن نافع بن يزيد عن عقيل بن خالدعن ابن شهاب عنه به.
قلت: إسناده صحيح، ورواته رجال الشيخين غير نافع بن يزيد وهو ثقة اخرج له مسلم فقط.

هذا وقد حكت الإسرائيليات والروايات الواهية أخبارا لا تصح حول صبر أيوب على ما مسه من ضر تلقفها الخيال الشعبي؛ فقفا ما ليس له به علم، وأضاف وزاد، والله أعلم بالمراد.
ولكن عجبي لا ينقضي من بعض المفسرين الذين أوردوا تلك القصص والحكايات غير المسنده دون تعليق او تحقيق؛ فصبر جميل، والله المستعان، وعليه التكلان .
ولعل الله عز وجل ييسر لهذه التفاسير من يقوم على تصفيتها من هذا الدخن.

٢-10يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام
لقد امتحن يعقوب عليه الصلاة والسلام بفراق أحب أبنائه إليه.
ولم يكن فراق يوسف أمراً هينا أو خطبا يسير للآتي :
١- لقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام مضرب الحسن والجمال، فقد اتاه الله شطر الحسن، ومن طبيعة الجمال ان يحب.

٢- ولم يكن فراق يوسف عليه الصلاة والسلام كأي فراق اخر بين شخصين يعرف كلاهما موطن صاحبه، ويرجوان ينتهي الفراق بلقاء قريب.
وإنما كان فراق بعد مؤامرة أدعي فيها موت يوسف مقتولاً
٣- ولم تكن تلك المؤامرة من أعداء غرباء أو قطاع طريق أشقياء، وفد يهون الخطب شيئا يسيرا على النفس لكن جاء الكيد والمكر والخداع من إخوة لأخيهم، والكذب من أبناء على أبيهم، وقد قيل:
وظلم ذوي القربى أشد مضاضه   على النفس من وقع الحسام المهند
ومع هذا كله اعتصم يعقوب عليه السلام بالصبر الجميل أولا وآخرا مستعيناً بالله؛ فقال بعد فراق يوسف: " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)" يوسف وقال بعد فراق ابنه الثاني: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) » يوسف
لقدكان صبريعقوب عليه السلام ليس صبراليائس القانط إنما صبر الآمل الراجي فضل الله، الواثق أن مع العسر يسرا، وبعد الفرقة اجتماعا؛ " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) " يوسف .
ومن رحمة الله يعباده انه قدر ضعف الإنسان فلم يلم يعقوب عليه السلام على ما أبداه من أسف على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن بل بقي في درجة أولي الأيدي والأبصار.
ولذلك فإن العبد لا يخرج عن الصبر بكراهة النفس ولا ألم القلب، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

٣-10- صبر أولي العزم من الرسل:
وكان صبرهم - صلى الله عليهم وسلم - من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه تمثل في الثبات على الحق، وتحمل مشاق الدعوة إلى الله.

وهذا النوع من الصبر هو صبر على تكميل الآخرين، ولا شك أنه أرقى من الصبر على تكميل النفس؛ لأن تكميل الآخرين لا يقوم به إلا الكمل من المؤمنين، والخلص من الدعاة الغيورين.
إنه صبر صفوة الأنبياء والمرسلين الذين أمر الله خاتم رسله وصفوة خلقه ورحمته إلى العالمين أن يتخذ منهم أسوة في صبرهم حين قال: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " الأحقاف 35
ا- لقد لبث نوح الف سنة إلا خمسين عاما في قومه يدعوهم الى الله سرا وجهارا، وليلا ونهارا، وتبشيرا وإنذارا، فلم يجد منهم إلا الإصرار والاستكبار، والسخرية والاستهزاء، ومع ذلك يمضي نوح عبر هذه السنين المتوالية، والأجيال المتلاحقة، دون كلل أو ملل، وكلما أعرض قومه غير وبدل في أسلوبه.
وفي جميع الحالات كان رحيما بهم خائفا عليهم عذاب يوم بئيس.
لقد كان نوح عليه السلام قمة في الصبر، وآية في الحلم والاناة وسعة الصدر، وأمة في الجد والمثابرة، بذلك أخبر الله عز وجل: " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) " نوح
ولم يكن صبر نوح على قومه بل تعداه إلى أهل بيته، وهذا من الشدائد والفتن التي لا يلقاها إلا الصابرون .
فداعي الله قد يبتلى بقومه وأصدقائه؛ فيعاني منهم ما يعاني لكنه إذا عاد إلى بيته وجد الراحة والطمأنينة، وهذا الذي كان يلقاه خاتم الأنبياء في كنف زوجه خديحة رضي الله عنها .
أما نوح عليه السلام؛ فقد ابتلاه الله بقومه وأهل بيته، قال تعالى: " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) " التحريم
ولم تكن مصيبة نوح بزوجه آخر مصائبه في بيته، لقد رفض ابنه الإسلام، وأعرض عن أبيه، ووقف في صف المشركين.
ويحاول نوح عليه السلام انقاذ ابنه من براثن الشرك والوثنية، ويخلصه من مخالب الشيطان، ولكن هيهات، قال تعالى.
" ... وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) " نوح
لقد أبتلي، نوح فصبر، ودعا ربه فانتصر، وآتاه اله خير مما أخذ منه.
فإذا أخذ الله من نوح ولدا كافرا، فقد أبدله ربه خيرا منه زكاة، واقرب رحما، فكتب البقاء لذريته: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) " الصافات
ب- وإبراهيم عليه الصلاة والسلام استمر في دعوة فومه الذين أصروا على ضلالهم حتى كانت واقعة تحطيم الآلهه وتكسير الأصنام؛ فاجتمع القوم لينتقموا لآلهتهم منه، وأرادوا أن يحرقوه في النار؛ كما حرق قلوبهم على أصنامهم.
وأخذ إبراهيم عليه السلام وألقي في النار، فما اضطرب ولا جزع ولا التجأ إلى غير الله بل قال: «حسبنا الله».
ولم يكله الله إلى نفسه، ولا إلى أحد من خلقه، فكانت النار كما أراد الله وليس كما أراد أعداء الله: " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) " الأنبياء
وكما أن نوح ابتلي بكفر زوجه وابنه فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بكفر أبيه آزر؛ فقال تعالى: " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) " مريم

وامتحن عليه الصلاة والسلام بأن يذبح ابنه اسماعيل الذي هو بكره ووحيده، قال تعالى: " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107)
إن القلم ليقف حيران أمام جواب الذبيح " يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) " .
وإن القلم ليتعثر حياء أمام الاستطراد في تصويرها، وشرح بلاغتها، وتقريبها من النفوس.
عرض من الأب في غاية السهولة، ولكنه يتضمن أمرا عظيما الا وهو بذل الروح طاعة لله.
ولو قال لابنه: اذهب للجهاد في سبيل الله، وأرجو الله ان يشرفني بقتلك لهان الأمر؛ لأن الأعداء هم الذين سيقتلونه... وأما في هذا المقام فالوالد الحليم الأواه المنيب هو الذي سيقتل ابنه الصابرالصادق..٠ سيقتله ذبحا دون إثم اقترفه أو بهتان افتراه.
ترى ماذا كان موقف الفتى الذي نشأ في أحضان امرأة كانت ثقتها بالله واستسلامها لأمره أكبر وأعظم من الوصف.
لقد حسم الموقف: " قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) "
افعل ما تؤمر: لا تأخذ رأيي، ولا تنتظر مشورتي بل نفذ ما أمرك الله به دون هوادة ولا إبطاء.
إفعل ما تؤمر: هذا هو الإسلام: انقياد، وطاعة، وامتثال، واستسلام، وتنفيذ.. . ولكن ليس للجبابرة والطواغيت بل لله رب العالمين.
إفعل ما تؤمر: لأن تنفيذ أمر الله أهم من حياتي في هذه الدنيا.

إفعل ما تؤمر: لأن الله اختارنا حملة رسالة، ولن نتردد في بذل النفس والنفيس في سبيل الله
إفعل ما تؤمر: و ستجدني بمشيئة اللهم صابرا محتسبا.
وينتقل الإثنان من القول إلى العمل، ويكون الابتلاء قد بلغ غايته وحقق ثمرته؛ فلا غرو أن جاءت البشرى من السماء: "وفديناه بذبح عظيم".
ت - وموسى كليم الله بعثه الله ليواجه طاغوت فرعون وجبروت هامان، وكبرياء قارون.
فما أن بلغ موسى رسالة ربه، حتى طفق فرعون يرغي ويزبد، ويهدد ويتوعد؛ تارة بالسجن: " ... لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) " الشعراء
وطورا بالقتل: " .... ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) غافر
ويصبر موسى على هذا كله، ويوجه قومه إلى معين الصبر؛ ليغترفوا منه: " قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) " الأعراف
ث- وعيسى بن مريم روح الله وكلمته بعثه الله إلى بني إسرائيل فلم يجد من أحبارهم إلا التكذيب والعصيان والمؤامرات التي كان ثمرتها أنهم قرروا قتله وصلبه، ولكن الله أحبط سعيهم وخيب ظنهم؛ فقال: " وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) " النساء
لقد وضع الله سبحانه وتعالى هذه النماذج امام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتكون له زادا ورصيدا وهو يحمل دعوة عالمية للناس كافة إلى قيام الساعة: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " الأحقاف 35

أمور لا تنافي الصبر 11

١١-١- الشكوى إلى الله .

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه ومسكنته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان مصيبة؛ ويشكو همه ويبث حزنه إلى الله، وهذا المقام لا ينافي الصبر ولا يخدشه.

فإن يعقوب عليه الصلاة والسلام وعد بالصبر الجميل فيما أخبر الله عنه: " ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) " يوسف

وقال أيضا: ".... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) " يوسف

والنبي إذا وعد لا يخلف، ومع ذلك أخبر الله عنه: " ... إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ..." يوسف 86

وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله سبحانه وتعالى عنه انه من الصابرين " ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44) " ص

ومع ذلك فقد شكا مصيبته إلى الله حين ناداه: " وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) " ص

وفي موضع آخر: " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) " الأنبياء

ولذلك إذا أصاب العبد مصيبة وطلب من الله كشفها، أو تخفيفها، لا ينافي الصبر بل هو مقصد من مقاصد الابتلاء.

وإذا فقد ضالته؛ فطلب من الله أن يردها عليه؛ فلا يخدش مقام الصبر الجميل.

وإنما ينافي الصبر شكوى الله للعباد، وإظهار الجزع والتبرم والتضجر والتأفف، كما قدمنا في «شروط الصبر».

فإذا علمت ايها العبد الطائع هذا المقام تبين لك ضلال قول القائلين: سؤالك الله اتهام لله، تعالى الله عما يصفه الجاهلون علوا كبيرا.
وهم يحتجون بما أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رموا به في النار؛ فاستقبله جبريل فقال:
يا إبراهيم ألك حاجة؟
قال: أما إليك فلا.
قال جبريل: فسل ربك؟
فقال ابراهيم حسبى من سؤالي علمه بحالي (18)

---

(١٨) هذا الحديث لا أصل له، وإنما هو من الاسرائيليات. أورده البغوي في «معالم التنزيل» (٢٥٠/٣) مشيرا إلى ضعفه، وأنه من الإسرائيليات حيث عزاه إلى كعب الأحبار.
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٣٩/٨):
«ومن هؤلاء من يحتج بما يروى عن الخليل أنه لما ألقي في النار قال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: اما إليك فلا. قال: سل قال: حسي من سؤالي علمه بحالي.
وأول هذا الحديث معروف، وهو: أما إليك فلا، وقد ثبت في صحيح البخاري عن بن عباس رضي اشه عهما في قوله تعالى: " حسبنا الله ونعم الوكيل " انما قاها إبراهيم حين القي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
وأما قوله: حسبي من سؤالي علمه بحالي؛ فكلام باطل، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم الله ومسألتهم إياه.
وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة؛ كقولهم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ودعاء الله وسؤاله والتوكل عليه عبادة

مشروعة بأسباب كما يقدره بها، فكيف يكون مجرد العلم مسقطا لما خلقه وأمربه، والله اعلم».
وقال بن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢٥٠/١) نقلا عن ابن تيمية: «موضوع».
٢-١١-الحزن ودمع العين.
عن أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين - وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام - فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وشمه.
ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه؛ فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان.
فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟
فقال: «يا بن عوف إنها رحمة» .
ثم أتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون،(١)

---

(١٩) أخرجه البخاري (١٧٢/٣-١٧٣-الفتح)، ومسلم (٢٣١٥) وغيرهما.

الخاتمة

رزقنا الله حسن الخاتمة

اعلم أيها الأخ الأصفى، والصديق الخالصة الأوفى: أن مقام الصبر تفاوتت فيه عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال؛ فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول.
وهذه حال من وقف على ظواهر الأمور، وأما الذي خرق ببصر ثاقب حجب العاجلة؛ فإنه يسعى حثيثا لبلوغ الآجلة. فادع نفسك أيها الأخ إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم

المقيم، وكل يعمل على شاكلته، ويصبو إلى ما يناسبه وما هو أولى به.

ولا تستطل هذا المقام؛ فإنه هو الفاروق الأكبر، والترياق الأعظم.

ولله در القائل: فالصبرطلسم على كنزالعلى من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

وعلى الله قصد السبيل